دار الآداب

أدونيس





أول الجسد آخر البحر

«صياغة نهائية»

قصهٔ اول

قصائد أولى

١٩٢٩ - ١٩٥٥

- صياغة نهائية -

منشورات دار الآداب - بيروت

طبعة جديدة
١٩٨٨

قصائد اولى

قالت الأرض

[مقاطع]

ـ ١ ـ

قالت الأرض في جذوريَ آبادُ
حنينٍ ، وكلُّ نَبْضي سؤالُ
بيَ جوعٌ إلى الجمال ، ومن صدريَ
كان الهوى ، وكان الجمالُ

ـ ٢ ـ

ما ليَ اليوم أستفيقُ ، فلا حقلي
نضيرٌ ، ولا تلالي زواهِرْ
لا النَّواطير يسمرون مع النَّجم
ولا الضوء رائعٌ في المحاجِرْ
أنا كنزٌ مخبَّأٌ ، أين أبنائي
فكلّي صوتٌ ، وكلّيّ حناجِرْ.

- ٣ -

ربّما أنْهكتْهمُ ضربةٌ عمياءُ
فاستسلموا لها واستلانوا
ربّما أُلبِسوا ثياباً سَرَت فيها
أكفُّ الأوثانِ ، والأوثانُ
ربّما . . . ربّما ، كأنَّ الحروفَ السود
صُمَّت في وقعها الآذانُ
فَكَأَنْ لَمْ أطلعْ على الأرض ميلاداً
ويُخْلَقْ من صدريَ الإنسانُ .

- ٤ -

قُمْ مع الشمس يا شبابي ، وحرِّكْ
عالماً غافيَ البصيرة ، جامِدْ
أنتَ علَّمتَه الحياة قديماً
وستبقى له دليلاً ورائدْ .

- ٥ -

أنا سوَّيتُ من عروقيَ أبنائي
وربّيتهم ذرىً وجبالا
يتسامون فالطموح مدىً جدبٌ

ويحيون في الزمان مثالا
أنا سوّيت من عروقيَ أطفالي
وسوَّيتُ فيهمِ الأطفالا .

- ٦ -

مَجّدوني ، تفتَّقوا في ينابيعيَ
فيضاً ، وفي ترابي ربيعا
وحدةٌ نحن ، يضحك القلبُ للقلب
وتَستلْهِمُ الضّلوعُ الضّلوعا
كم أَقَلْنا مُعَثَّرينَ حيارى
واحترقنا على الدروب شموعا
ومَدَدْنا للظامئين نفوساً
فُجّرت في حياتهم ينبوعا .

- ٧ -

يَا لتَوقي ، يا عمقَه ، يُخلقُ
المجهول فيه ، وتولد الأيامُ
يَمْسَحُ الوهمَ عن حياتي فلا
الإيهام يلهو فيها ولا الأوهام

بعضيَ الفجرُ ، بعضيَ النّور والحبُّ
فما مرَّ في كياني ظلامُ
إن أكن نمتُ مرّةً ، فلأعماقي
دويٌّ مجلجِلٌ لا ينامُ .

- ٨ -

أيّ خَلْقٍ كالسرّ ، كالحلْم ، كالفتح
يفضُّ البعيدَ والمجهولا . .
جُمِّع الكلّ فيه ، فالخلقُ
مضفورٌ على كبريائه إكليلا .

- ٩ -

حَملت فجرَه بلادي أنباءَ
حياةٍ غَلاّبةٍ وشبابِ
قُلْ لمن يحضن السّراب ويلهو
بفراغٍ مُطرّزٍ بالسَّرابِ
أشرقَ العالم الجديدُ ، وماتتْ
خلفَهُ ، جاهليَّةُ الأحقابِ .

- ١٠ -

يَئِس الشعب من مغـالبـة اليـأسِ
فـفـيـه لـلـيأس بابٌ عـتـيـقُ
يـتـمـشّى في صـدره قـلقٌ جـمْـرٌ
وصـوتٌ مـجـرَّحٌ مـخـنـوق
جُـنَّ فـيـه الـسـؤالُ ، أيـن غـدٌ
يخلق مـا شـاءه ، وأين الـطريقُ ؟
كـلّمـا همَّ أن يـثـور على الـقـيـد
تـولّاه خـائـنٌ أو عَـقـوقُ
ربَّ صـبـحٍ أفـاقَ فـيـه فـعَـفَّـى
خـائـنيـهِ ، إبـاؤهُ الـمستفـيـقُ .

- ١١ -

لا نـواعـيـرهُ تـدور ، وإن دارت
فـبـالـبـؤس والـشـقـاء تـدورُ
بيـدرٌ يسـأل الحصـادَ عن القمـح
وحـقـلٌ يـذوي وأرضٌ تـبـورُ
وعـلى أنَّـةِ الـعـذاب وآه الـيُـتْـمِ
تـعـلـو مـرابـعٌ وقـصـورُ

تَشْرئبُّ الذرى على ضجّة الويل
وتشكو الى الصّخور الصّخورُ .

- ١٢ -

في الدروب انتفاضةُ الكبْر
فَالخَطْوُ عليها محقَّرٌ مرذولُ
قدَمٌ تكتب الجريمة والبغيَ
فخطْواتُها دمٌ وقتيل
والقرى صفرةٌ ، فقد مسح الخضرةَ
عن وجهها النضير ، الذبولُ
كل بيتٍ فيها ، شفاهٌ تجمّدْنَ . .
فماذا تشكو ، وماذا تقولُ ؟
يُورِقُ اليَبْسُ في الصراع ، ويحيا
المَيْتُ فيه ، ويبطل المستحيلُ !

- ١٣ -

ألجبال العتاقُ والصخر والشاطئ
والزورق المُدِلُّ المغامرْ
صَرخاتٌ - مَدىً كأنّ عليه

من جفـون التاريـخ آلافَ ساهـرْ
هي فينـا حبٌّ يسـائـل عن حبٍّ
وماضٍ يلفّ بـالمجـد حـاضرْ
عبثـاً ، لـن تهـدّ جـلجلةَ البـغـي
شـفـاهُ نـدَّابـة ، أو مـنـابرْ
ليس إلا أن ننسـجَ الحـبّ رايـاتٍ
وأن نـرفـعَ الـنـفـوس مـنـائـرْ

- ١٤ -

هـا طريقُ الحيـاة نحن شقَقْناهـا
عِـراكـاً وثـورةً وجـهـادا
نـتـخـطّى عـنـفَ الـزَّمـانِ ونُـلقي
صـورَ العُـنفِ خـلفـنـا أمـجـادا
ربَّ نـورٍ كـان الـحـيـاةَ لـشـعـبٍ
لـمـحـتـه عـيـن الظلام سـوادا .

- ١٥ -

لغـة الحـقّ أن نمـوت مـع الحقّ
انـتصـاراً أو أن نـمـوت انـكـسـارا

لـيس عــاراً لنــا ، إذا مــا نُـكِبْـنــا
إنَّ فـي خفـضنــا الـجِبـاهَ الـعــارا

- ١٦ -

يــا لــذلٍّ يــطوي النفــوس ويبنيهــا
عــروشًـا تـتـيــه ، أو ســلطانــا
كم مشت حــولنــا مــواكبهــا السّــودُ
جـحـيمــاً ، وغـلغـلــت أفـعــوانــا
أيُّ حـقّ حَـنـَـا الـجـمــالَ عــليــه
لم يصــرْ في ضـمـيـرهــا بهـتــانــا
مــا لهــا ، مــا لهــا يُمــزّقُهــا الحقــدُ
جـنــونــاً ، وتـرتــمـي خــذلانــا
لـم يَلِنْ نــابُـهــا الـعـتـيُّ ، ولـكـن
لمَحَت في صــدورنــا الـطوفـانــا .

- ١٧ -

آنَ يــا شــعــبُ أن تـزولَ حــيــاةٌ
تَـتَـمــادَى قــولاً وقـيــلاً وقــالا
لا يصيــر السَّـراب حقّــاً ولا تُعـطي

أكسفَّ الرِّمال إلا رمالا .

- ١٨ -

أيّها الجيلُ أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هواكَ الجهادُ ؟
أرضُك الأرضُ لا السنابل آفاقٌ
تهزُّ الرؤى ولا الحصّادُ
أتُرى هذّك العياءُ وأسلسْتَ
قياداً ، فجُنَّ فيك القيادُ
كيف تحيا وكلّ أرضكَ أنّاتٌ
حيارى ، وكلّها أصفادُ
أين يا جيلُ ، أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هواكَ الجهادُ

- ١٩ -

ما علينا قهرُ الصعاب ، ولكنَّ
علينا أن نقهر المستحيلا
نحن تاريخُنا ونحن ليالٍ
ضحكت في يمينه إزميلا

فجَّـر الكِبْـرَ في جـوانحنـا زيتـاً
وألـقـى جراحـنـا قـنـديـلا
هَمُّنـا أن نـمـزِّقَ الحُـجُب الـسـود
ضـيـاءً ، ونـكـشـف الـمـجـهـولا
كـشَّـفـتْنـا الـحيـاة حـتى كـأنّا
ألفُ جيـلٍ منهـا يعـانق جيـلا .

- ٢٠ -

أبـداً ، نخلقُ الـوجـودَ ونـعـطيـهِ
حـيـاةً ، كـمـا نـرى ونـشـاءُ
قـطرَت في أكفِّـنـا فِلقُ الـصّـخْـرِ
عـبيـراً ، واهـتـزَّتِ الـصـحـراءُ
قيـلَ : كنّا ، فـاخضـرَّ من شَغَفٍ
حلمُ الليـالي ، واخضـرَّت الأشيـاءُ .

- ٢١ -

منـذ كنّا ، كنّـا طغـاةً على الـذلّ
وكـنّـا في وجـهـه ثـوارا
نـتـخـطّى عـنـف الـحيـاة ونُـلْقي

خلف خُطْوَاتِنا الشذى والغارا
فزرعنا عين الوجود جمالاً
وملأنا أعماقه أسرارا
وشمخْنا نلفّ بالعبَق الدنيا
ونبني في جبهة الشمس دارا
سهرت بعدنا النجوم وصارت
لأساطيرِ مجدنا سُمّارا .

- ٢٢ -

ذاك مجدافنا يسيرُ إلى الشاطىء
في مهرجانه المجتاحِ
لم تُلامِسْ شراعَه رعشةُ اليأس
ولا هزّه ضجيج الرّياحِ
ما روانا دَفْقُ الجراح ، ففينا
لمداها ، تلفّتُ الملتاح
كلما اسْتَيْأسَ الكفاح بصدرٍ
جلجلت تستفزُّنا للكفاح.

- ٢٣ -

ربّ أمٍّ تمدُّ كفّاً إلى الأرض
وكفّا لطفلها المقرورِ
لمحت في صراخه لغة القَهْرِ
ورُغْبَ الدنيا وموت الشعور
ورأت في جبينه ثورة الجوع
وأطياف جفنها المذعور
فانحنتْ تأكل التراب وتسْتَفُّ
بقايا موائد وقشور.
وعلى ثغرها رجاءٌ : غداً تخضرُّ
أرضي ، غداً يُضيء سريري.

- ٢٤ -

وغداً تلعب الطفولة بالوردِ
وتنمو حقولنا وتفيض
يملأُ الخير أرضَنا ، فإذا الشعبُ
نموٌّ ، وقوَّةٌ ، ونهوض
وإذا أرضنا منائر لا تخبو
ودفْقٌ من الشذى لا يغيض

لا مُكِبٌّ على السؤال ولا مُلقىً
على شاسع الدروب مريض
كلّ فقرٍ يفنى، ويفنى مع الفقر
زمانٌ جَهْمٌ وكَوْنٌ بَغيضُ.

- ٢٥ -

... فإذا الكون كونُنا وإذا الدنيا
شمالٌ لحبِّنا، ويمينُ
إنَّ خلق الحياة صعبٌ، ولكن
كلّ صعب، إذا أردنا، يهونُ.

- ٢٦ -

أنا شئتُ الزمان حلْماً على جفني
وصوتاً مجلجلاً في شبابي
لي غدٌ كلما تَلَمَّسه اللّيل ببابِ
أطلّ من ألف باب
فتحت كفُّه دروبي وأرْسَتْها
على التّيه، دفقةً من شهاب
أنا وَجْهُ المدَى، فكلّ جمالٍ

في فؤادي يحيا وفي أهدابي
كلّما أوْمأ التراب لأجفاني
تمثّلتُ قوّتي في الترابِ .

- ٢٧ -

لبلادي أنا ، لثورتها الكبرى
لآفاقها الفِساح البواسِم
لحقول . . . مواسمٍ ، تزرع الأرض
ربيعاً ، تكلّمي يا مواسِمْ !
ثورةٌ من تفتُّح الذاتِ لا تُطْلعُ
إلا منائراً وملاحِمَ .

- ٢٨ -

أنا فيها الفلّاح أزرعها قمحاً
ووردأ ، وأقلع الأشواكا
سكّتي تنطح الصخور ، وتمشي
في الأحافير ، نَشْوةً وعراكا
وحقولي سنابلٌ تفرع النجم
كأنّي زرعت فيها السِّماكا

قيِّمٌ بـاسم أمّتي . . لست مقطوعـاً
ولا . غـاصبـاً ولا مـلاّكـا
أنـا للشّعب . . أيها الشعب مُجِّدتَ
فـإنـي فـي كـلّ شـيءٍ أراكـا .

- ٢٩ -

أنـا فيها الـراعي . . أطوف وأغنـامي
ذراهـا وغـابـهـا ورُبـاهـا
ليَ قلبٌ يُـحِسُّ خلْج الـمجـاهيـل
ويـصطاد في الـبـعـيـد الآهـا
قَـلقٌ ، يحـرس الـقـطيـع وينْقَضُّ
عـلى الـرُّعب ، شـامخـاً تيَّـاهـا
ومعي النَّـايُ ـ جُمِّـعت فـيـه آفـاق
بـلادي : شـطآنـهـا وقـراهـا
أُطْـلِعُ الـلَّحـنَ ، لحـنَهـا فـكـأنّي
واضـعٌ بـيـن راحَـتـيّ إلَـهـا .

- ٣٠ -

كـلّهـا في دمـي : تـرابـاً وأجـواءً

وزهراً ، وصبيةً وصبايا
سُوِّيَتْ من رحابها الخضر أجفاني
وقُدَّتْ جوانحي ويدايا
أنا إنْ متُّ ، لا أموت ، فقد
ركَّزْتُ في جبهة البقاء ، خطايا
ربَّما عشتُ في مزاميرها لحناً
وغَلْغَلْتُ في ذراها عشايا
كلّها في دمي ، وكلِّيَ فيها :
صبيةٌ يعشقونَها وصبايا .

- ٣١ -

أنا دربي طويلةٌ كَغَدٍ يُقْبِلُ
كالكون ، في مداه الطويلِ
أنا دربي خضراءُ ، لوَّنها قلبي
وغطّى جراحها تقبيلي
أنا دربي وَثْبٌ على الموت خَطّافٌ
وغَذٌّ في المغلق المجهول
أنا جيلٌ في أمّتي ، وأنا فردٌ
من الجيل ، بل أنا كلُّ جيل

أينما كنت ، كنت في صدرها أحيا
وفي روحها الكبير الأصيلِ .

- ٣٢ -

أنا جرحٌ مُضَمَّخٌ بالبطولات
وضوءٌ على الذرى مرشوقُ
أنا لِي مشرقُ النّجوم ومرساها
ولي أفْقُهُا الفسيح العميق
وليَ البحرُ ؛ شمسُهُ ودياجيه
ولغزٌ في جانحيه عتيق
أنا لي أمتي : جمالٌ وتاريخٌ
ولي أرضها : غدٌ وطريق
لست وحدي ، فكلّها كلّ ما
فيها ، نداءٌ يضمّني ورفيقُ.

- ٣٣ -

أنا فيضٌ من أمَّتي وعتيقٌ
مرٌّ في كونها العَتيقِ الجديدِ
مطْلَقٌ في كيانها ، فأنا فيها

كـيـانٌ طَـلْـقٌ بـغـيـر حـدودِ
كـلّ فـردٍ فـيـهـا أُحِسُّ كـأنْ
جُمِّـع فيه صـدري ، وسـال وريـدي
إنَّ في الغيـر بعضَ نـفسـي ، وفي
الآخـر ، شـرطـاً ومنبعـاً لـوجـودي .

- ٣٤ -

أنـا لي نبضــةُ المـلايين في شعبي
ولــي هــذه السّـهـولُ الـفِـســاحُ
لــيَ آهــات أمّــتــي وأمــانــيــهــا
ولـي كـبـريـاؤهـا والـجِـراحُ
أنـا وردٌ فـي هـذه الأرض نَـمَّـامٌ
وعِـطْـرٌ مـن أمّـتـي فـوَّاحُ .

- ٣٥ -

آنَ لـي أن أُسُـلَّ نـفـسـيَ
من ليـلٍ أليفٍ ، ومن صبـاحٍ مُعـادِ
آنَ لي أن أكـون نفسيَ ، أن أحيـا
وجـودي ، وأمَّـتـي وبـلادي

وأردُّ التاريخ شهقة جوعٍ
تتغذّى من قَبْضتي وفؤادي.

- ٣٦ -

مِن هنا، من بلادنا، نحن أقْلعنا
شراعًا، وموجةً، وليالي
ومشينا حرفاً على صفحة القلب
وحرفاً على شفاه السؤال
زرعت كبرياؤنا صور الحبِّ
ورودًا وسوسناً ودوالي
وملأنا عين الزمان، فما تبصرُ
إلا كواكباً ولآلي
فإذا نحن لهفة القلب للقلب
وإرثُ الأجيال للأجيال.

- ٣٧ -

ها بلادي، كأنَّ بغدادَ صارت
من ذُرى الشّامِ، أو غَدت لبنانا
نحن شئنا الدنيا جمالاً وحَقّاً

وخـلقـنـا لـلعـالـم الإنـسـانـا

- ٣٨ -

من رأى الشمس تستفيقُ مـع الشَّعْبِ
وتـشـتـاقُـه مـدىً وضـيـاءَ ؟
من رآهـا تَنْكبُّ ظمْـأى على أرض
بـلادي : صـخـراً وظـلاً ومـاءَ ؟
آنَ يـا شمس أن نغـرِّب في الأرض
ونُـلقي عـن صـدرهـا الأعـبـاءَ
عـرفَتْنـا مـراكـبـاً تقـهـر المـوج
وفـأسـاً خـلاَّقـةً خـضـراءَ
ورأتـنـا نـسـيـر فـيـهـا أسـاطـيـر
ونـحـيـا فـي قـلبـهـا أنـبـيـاءَ .

- ٣٩ -

هـا رجعنا لِلْكَشْفِ : تُنْشَـرُ آفـاقُ
عُـصـورٍ ، وتـنـطـوي آفـاقُ
سُفُنٌ تقحـم العـبـاب . . ففـي اللجّ
دويٌّ مـغـامـرٌ ، خـلاَّقُ

بعضها سنديانةٌ ، بعضها أرزٌ
وبعضٌ مغامرون رفاقُ
تتغنّى بنا الشواطىء ، فاللحن
شموخٌ ونشوةٌ وانعتاق
كلّما فُضَّ مغلقٌ في مداها
جذبْتنا الأبعادُ والأعماقُ . . .

(١٩٤٩ - ١٩٥٠)

قصائد إلى الموت

حب

يُحبّني الطريقُ والبيتُ
وجرّةٌ في البيت حمراءُ
يعشقها الماءُ

يحبّني الجارُ
والحقل والبيدر والنّارُ

تحبّني سواعدٌ تكدحُ
تفرح بالدنيا ، ولا تفرحُ
ومِزقٌ مَنْثورةٌ من أخي
من صدره المرتخي
يخبئها السنبل والموسمُ
عقيقةٌ يخجل منها الدّمُ .

كان إلَهُ الحبّ مُذْ كنتُ ـ
ما يفعل الحبّ ، إذا متّ ؟

أسرار

يضمّنا الموتِ إلى صدرهِ
مُغَامِراً ، زاهِدا
يحملنا سِرّاً على سرّهِ
يجعل من كثرتنا واحِدا .

الشمس

ما أغمضتْ عيناي إلاّ على
حلْمٍ يسيرُ الموتُ في سيرهِ
ينام في الظلمةِ مُستغرقاً
ويُطلع الشمسَ على غيرهِ .

الموت

(مرثيتان إلى أبي)

- ١ -

أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحابْ
أحبه سرّاً عصياً دفينْ
وجبهةً مغمورةً بالترابْ
أحبّه صدراً رميماً ، وطينْ .

- ٢ -

على بيتنا ، كان يشهق صمتٌ ويبكي سكونُ
لأنَّ أبي مات ، أجدبَ حقلٌ وماتت سنونو .

أغنيتان للموت

- ١ -

كأنّه الموتُ إذا مَرّ بي
يخنقه الصمتُ ،
كأنه ينامُ إن نمتُ .

- ٢ -

يا يدَ الموت أطيلي حبْلَ دربي
خطفَ المجهولُ قلبي ؛
يا يدَ الموت أطيلي
علّني أكشف كنْهَ المستحيل
وأرى العالمَ قُرْبي .

اغنيات للحب

أوراق

- ١ -

قالوا : مشت ، فالحقلُ ، من ولَهٍ
متلبِّكٌ ، والقمح يكتنزُ
بُعث التناغم عِبْرَ خُطوتها
والهيدَبى والوَخْدُ والرجَزُ
تُومي فيلتفت الصبّاحُ لها
من لهفةٍ ، ويُتْغتغُ العنَزُ
ما الوشْمُ ؟ ما الخرَزُ ؟
ما الأقدمون السُّمْر ؟ لم يلجوا
لُغزاً ، ولا اكتْنهوا ولا رمزوا ،
لفتاتها تَخزُ
وجفونها وَتَرٌ وأغنيةٌ
صيفيَّةٌ ، وقميصُها كرَزُ .

- ٢ -

قال ليَ ، الآن ، صدىً منكِ :
« لا عمرَ للسرّ الذي يحكي
عَنّيَ أو عنكِ » .

- ٣ -

أحسّكِ فيَّ غريزةَ كَشْفِ
فأربط دَقَّ الثواني بقلبي ، وأعرف ما سيكون ، بِلَهْفي

- ٤ -

نَعرف كيف تعشق الفصولُ
نعرف أيّ لغةٍ تقولُ ـ
يا جهلَها ، ـ الرياحُ والحقولُ .

- ٥ -

لا ، لا أخافُ ـ
لَكِ ما سَيُبْتَكَرُ اعترافُ .

بين عينيك وبيني

حينما أُغرقُ في عينيكِ عيني ،
ألمح الفجر العميقا
وأرى الأمس العتيقا
وأرى ما لست أدري ،
وأحسّ الكون يجري
بين عينيكِ وبيني .

بيت الحب

(مقاطع)

أحبّك ، حتّى كأنّ الحياةَ ابتكارٌ لحبّي .
أُحبكِ ، والضوء في ناظريكِ انزوى وانغَمرْ
وشعرك شَلّالُ ثلجٍ على كتفيك انهمَرْ .
كأنّي أجرّ ورائي السنين وأستنفدُ
وحوليَ في بيتنا سريرك والمقعدُ
ومعطفك الأسودُ
ونارُك والموقدُ .

سألتك ، خلّيه ، خلّي سراجكِ يسْتسلمُ
ويدفنه المخبأ المظلمُ ،

وقولي لعينيكِ ان تُغمضا
أنا ، الآن ، فجرٌ طويلٌ طويلُ
تكاد تقول الثواني : مضى .

(١٥ شباط ١٩٥٤)

يقولون اني انتهيت

يقولون إنّي انتهيتْ
ولم يبقَ في مهجتي
سراجٌ ، ولم يبق زيتْ .
أمرّ على الورد ، ما همّه
ضحكتُ له أو بكيتْ ؟
وللورد في ناظري
وفي خاطري
صباحٌ محوتُ به وامّحيْتْ .
أحبّ أنا ، كم أحبّ جمالي
وأعبد فيه ضلالي
فيا ما هديتُ به واهتديتْ .

ظمئتُ ، متى يا دمي ، يا شبابي
تقول ، ارتويتْ ؟

ظمئت إلى موعد
وقفتُ عليه غدي . . .
ظمئت لقلب فسيحٍ عميقِ
أفَجّرهُ شعلاً في طريقي
وأخزنه في عروقي
واتركه بين حيٍّ وميْتْ ،
ظمئتُ ، متى يا دمي يا شبابي
تقولُ ارتويتْ ؟

يقولون إني انتهيتْ
ولي الأرضُ ، لي زهوها ، ولي كبرُها
تجرّحني راحتاها ويعبدني صدرُها
إذا شوكها عافني تخطّفني زهرُها .

يقولون إني انتهيتْ
ولي الأعصرُ
اذا جئت في بالها تسكرُ .
يقولون إني انتهيتْ
وفي كل دربِ
يُصفّق لي ألف قلبِ
ويضحك ظلٌ وبيتْ .

شربتُ أنا كل قلبٍ ،
شربت ، كأنّي انتشيتْ ،
وقلتُ انجبِلْ
يا وجودي ، وكنْ ما اشتهيتْ .

(دمشق ١٩٥٢/٧/٧)

حدود اليأس

يأس

ماشٍ على أجفانه سادراً
يجرّه مديدُ آهاتِه
تلطمه الحيرة أنّى مشى
كأنها سُكنى لخُطُواتِه .

عُلِّق بالغيب فأجفانُهُ
رمليَّةُ الأفْق
كأنما ، من يأسِهِ ، شمسهُ
تغيبُ في الشرق .

أغنية الى الطفولة

[مقاطع]

في السرير القَلِق الدافىءِ حُبٌّ
يستفيقُ ،
هو للناس تراتيلُ ، وللشّمس طريقُ .

للطّفوله،
تُشرق الشمس خجوله؛
في خُطاها يَصغر الكون الكبيرُ ،
ويضيق الأبدُ ،
فلها الأرض غطاءٌ سَرمدٌ ،
ولها الدنيا سريرُ .

أنا بالأمس ، لِيَ الآهاتُ بَيْتُ
ولِيَ الفقر سراجٌ والدّمُ النّازف زيتُ .
كنتُ كالظلّ ، كما دار به الفقر يدورُ
قدَمي ليلٌ وأجفانيَ نورُ .

يا طفوله ،

يا ربيعَ الزمن الشّيخ وآذار الحياةِ ،
وهوَىَ ماضٍ وآتِ ،
في غدٍ ، أنتِ صراعٌ لا يُحَدّ ،
وطِموحٌ لا يُردُّ .
وغداً أنت ميادين بطوله
تُنشيء الكون وتُبدي وتُعيد ،
فيغنّيك الكفاحُ
وتغنّيك الجراحُ ،
ويغنّيك الدّم البِكْر الجديدُ

يا طفوله
يا هوَى ماضٍ وآتِ
يا ربيعَ الزّمَنِ الشيخِ وآذار الحياة .

بيت

حِكايةُ الأشباحِ في بيتنا
بعدُ ، على شفاهِنا تخطرُ ،
يُخْبِئها المِحراث والبيدرُ ؛
فيه تَنَوَّرْنا مسافاتِنا
فيهِ حلمنا بالمجاهيلِ -
نقفز من كونٍ إلى آخرٍ
نطيرُ من جيلٍ إلى جيلِ .

حيرة

ينشر عينيه ويطويهما
حيران ، لا يغفو ولا يستفيقْ !
كأنّما يفرُّ من نفسهِ
كأنما تجفلُ منه الطّريقْ .

المشردون

في أول العام الجديدِ
قالت لنا ،
آهاتُنا ، قالت لنا ،
شدّوا الرّحال إلى بعيد ،
أوْ فاسكنوا خِيمَ الجليدِ
فبلادكم ليست هنا .
نحن الذين على الدّخيل تمرّدوا ،
فتهدّموا وتشرّدوا
أكل الفراغ نداءنا ،
ومشى الأمام وراءنا
أيّامُنا جمدت على أشلائنا ،
وتقلّصت كدمائنا
صارت تعيشُ على الثواني ،
صارت تدور بلا زمانِ .

متشتّتون ، مضيّعون على الدروبِ

صُفْرَ السواعد والقلوب
والجوع كُلُّ ندائنا ،
والرِّيحُ بعضُ غِطائنا
حتى الصباح يفرّ من آفاقِنا ،
ويغيض في أحداقنا

أقلوبَنا ، رفقاً بنا ، لا تهربي
وتَقحَّمي عنفَ المصير
في الجوع ، في اليأسِ المَرير ،
وهنا ، على هذا التراب ، تَتَرَّبي
فغداً ، يُقالُ :
من أرضنا طلع النضالُ
ونما على أشلائنا
ونِدائِنا
وعلى تلفّتنا البعيدِ
لغدٍ جديدٍ .

قصائد لا تنتهي

هوى ريشتي

أمسِ ، على أرضين مخضرّتينْ
كتبتُ أشعاريَ في لحظتينْ
وشئتها ، على هوى ريشتي ،
هنا سنونو ، وهنا برعمينْ . . .

فجر

شمسُكَ في مفاصلي
كالثّلجِ ، كالحريقِ
يا قلقاً يُولد في طريقي
يا فجرُ ، يا رفيقي .

حلم

في مهجتي تحيا معي قصةٌ
أَوَّلُها أبعدُ من أن يبينْ
أشمُّ فيها من رُبَى موطني
رائحةَ التفاح والياسمينْ
كأنما حروفها فُجّرت
من جَبَلٍ صخرٍ وماءٍ معينْ .

يا قصةً تسير بي دربُها
إلى فضاء الزّمنِ الأولِ ،
ما أنتِ إلا حلمٌ مبدعٌ
لِلزّمن المُقْبلِ ،
تهدرُ في صدريَ أسرارهُ
يَبِينُ لي فيه الذي لا يبينْ .

أمطار

يُمسِكُ بالمحراث في صدرِه
غيمٌ وفي كفيه أمطارُ ،
محراثُه يفتح أبوابَه
للممكن الأغنى ،
يُبعثِر الفجر على حقلِهِ
يُعطي له معنى .

أمس رأيناه وفي دربِه
من عرَق النهار فوّارُ ،
يعود للرّاحة ، في صدره
غيمٌ وفي كفيهِ أمطارُ .

العباءة

في بيتنا عَباءَةً
فصّلها عمْرُ أبي
خَيّطها بالتّعبِ .

تقولي لي ـ كنتَ على حصيرِه
كالغُصُنِ المنجرِد
وكنتَ في ضميرِه
غدَ الغدِ .

في بيتنا عباءةً
مرميّةً ، مبعثره
تشدّني لسقفهِ
لطينهِ للحجَره
ألمح في ثقوبها
ذراعه المحْتضنهْ
وقلبه ولهفةً في قلبه مُستوطنه
تحرسني تلفّني تملأ دربي أدعيه
تتركني شَبّابةً وغابةً وأغنيه .

أفقي وعد ...

عابرٌ أحمل أيّامي وبي
ظمأ الرمل وفي خطْوي بحارُ

يا هوىً ضيّعني ، مُرّ على
حيرتي ، مُرَّ على شُطآنِها
وسَلِ الأصداف عن كُهّانها
أيّ سرٍّ ليَ في أعماقِها
أيُّ حلْمٍ ليَ في أجفانِها ؟
هي في صدري تراتيلُ غَدٍ
وبَخُورٌ مُذْهَبُ النار ، ونارُ ـ
من أنا ، أيُّ هوىً أحيا له ؟
أُفُقي وعدٌ وعيناي انتظارُ .

شرق الجمال

كُلَّما مرَّ ببالي
أن أرى شرق الجمالِ
ودعاني الشَّفَقُ ،
تمَّحي ، عِبْرَ خُطايَ ، الطرُقُ .

قلق

يا ظُلمةً في أُفُقي
يا قَلقي ،
شُدَّ على تجدّدي ومزِّقِ
واعصفْ به وحَرِّقِ ،
لعلَّ في رمادِه
أبتكرُ الفجرَ النقي .

في عتمة الأشياء

في عَتْمة الأشياء في سرِّها
أحبُّ أن أبقى
أحبُّ أن أسْتبطنَ الخَلْقا

أحبُّ أن أشردَ كالظنِّ
كغربة الفنِّ
كالمبهم الغُفْلِ وغير الأكيدْ ـ
أولَدُ في كلِّ غدٍ من جديدْ .

مسيرة

أمشي وتمشي خلفيَ الأنجمُ
إلى غد الأنجمِ
والسرُّ ، والموتُ وما يُولَدْ
والتّعَبُ المفْردُ
تُميت خُطْواتي وتُحيي دمي .

أنا الذي لم تبتدىءْ دربُهُ
بعدُ ، ولم يُرصدْ له مِنْجمُ ـ
أمشي إلى ذاتي
إلى الغد الآتي ،
أمشي وتمشي خلفيَ الأنجمُ .

المخاض

لِمَنْ يفتح الفجرُ شُبَّاك عيني
ويحفرُ فوق ضلوعي طريقَهْ
لِمَ الموتُ ينبض مِلءَ كياني
ويربط عُمْري بخفْق الثواني ؟
عرفتُ ، دَمي رَحِمٌ للزمانِ
وفي شفتيَّ مَخاضُ الحقيقه.

وحدة

وُحِّدَ بي الكونُ فأجفانُهُ
تلبس أجفاني ؛
وُحِّد بي الكون ، بحرّيتي
فأيّنا يبتكر الثاني ؟.

رؤى

[مقاطع]

لِلّيالي فينا غَدٌ ونجومُ ؛
طَرَفٌ حبُّنا لكلٍّ سماءٍ
ومدىً لا نحدّه ، وتخومُ .
للسُّوى ، للزّمان نصنع للأفْق دروباً ، وللتّراب رداءَ
ونسوّي لكلِّ أرضٍ سماءَ
يا رُؤانا لِلنّاس والأرضِ ـ عينُ الأرضِ تاهَتْ
فَغيِّري الأشياءَ . . .

الثلج والدخان

[مقاطع]

قضَيبٌ مِن الثّلجِ : نارٌ وتبغٌ
وغيمُ دخانِ
عوالِمُ لا تنتهي ـ وهي تفنى
بِبضْعِ ثواني .
أوَ شْوِشُه كلّ ما بيَ : ظنّي وحُلْمي
وما ليس تجرؤ أن تتحدَّث عنه دموعي
أغالِبُه ، وأنا في غِلابيَ أغنى وأقوى
فأسقط في راحتيه وعند خُطاه الخفيَّةِ عضواً فعُضْوا ،
وأعشقه كالفُجاءَةِ ، بغتَهْ
بهمْسٍ ، بلفْتَه
لمحتُ وجودي يدبّ إليهِ
على شفتيَّ ، على شفتيهِ ،
فلي في الدُّخَان
دَمي وزماني . . .

الدرب

[مقاطع]

في الحجَر التَّائِه لونُ القلَقْ
لون خيالٍ سرَى ، -
مَن ، يا تُرى ،
مَرّ هنا واحتَرَقْ .

يحلو لِخَطْوي اللّهَبُ الأحمرُ
يحلو له المجدُ
وكلّما طال به البعدُ
يعلو ويستكبرُ ،
وكلّما قلتُ لدربي : تُرى
إلى متى عبءُ السُّرى والسُّرى
متى أرى المشتهى
وأبلغ المنتهى
وأهدأ ؟
قالت لي الدّربُ : هنا أبْدَأُ .

عرّافة

[مقاطع]

حاجبُها كجرسٍ يَرِنُّ
ملآنَةٌ بغيْبي
بواقِعي وريبي
بكلِّ ما أُكِنُّ .

تنظرُ ، فالأحاجي
تُضيء كالسِّراجِ ؛
كأنها تعلّقَتْ
بِهدُبِ الزّمانِ
فَهْيَ مع الصبّاحِ
والغيم والرّياحِ
والصّعبِ والمتاحِ ،
عُقْدَةُ كلِّ آنِ .

تُمسِك لي أَصابعي وتُحدِقُ
وتُطرقُ
وتَلِجُ الكهوفا

وتنبشُ الحروفا ـ
ألا اضْحكي ، ألا انبُسي
ألا اهْمُسي ، ـ
هذي يدي ـ خذي يَدي
خُذي غدي
وفَسّري واجْتهدي
وَوَشْوشيني واحْذَري
أن تجْهري . . .

أبعاد غامضة

كلّما لَمّتْ يدي أشياءَها
وانْحنَت كالسّنبلِ
كمديٍّ لم ينْجلِ ،
مَرّ بي ضوءُ حريريّ الخطى
شائكُ الدّرب ، نـادانـي سكونٌ -
وأنا بيتيَ في وجه الضّحى
زَهْرَةٌ شاخَتْ ومنقارُ سنونو .

حجر الضوء

على حَجر الضوء أنقش عُمْري
وديعاً كحبّة قَمْحٍ ؛
يُغطّي حروفي ضبابٌ
وفي كلماتيَ عتْمَه .
لأنّيَ حُبٌّ ،
أظلّ على الضوء أبني ، وتبني
معي حُفنةٌ من حياتي ولُقْمَهْ .

أرض بلادي

أرض بلادي . . . كنتَ في وعيها
وكنت نجواها وأعماقها ،
أَبدؤها ، أعُيدُها في دمي
وفي فمي
براعماً ، أوديةً ، أحجرا ،
أنقلها للورى ،
رسالةً تُريه ما لا يُرى .

أرض بلادي قصَّةٌ لم تزل
تقلبُ كفُّ الكون أوراقها ،
تحملُها الشَّمس ، فإن أُغْلِقتْ
آفاقُها ، تفتحُ آفاقَها . .
خلّاقتي ، فأيّ شيءٍ أنا
إن لم أكن بالحُبِ خَلّاقَها .

الغد

متى أرى : لي مشرقٌ جامِحٌ
يبتكر الشمس ، ولي مغربُ
متى أرى ، والكون لي ملعبُ
والحبّ والعزّة لي ساعدانْ ؛
قلبيَ للثّورة مستنفَرٌ
دقّاته صارت زمانَ الزّمانْ .

يقين

آمنَ قلبي بأناشيده
بموطني : بالسَّرْوِ والياسمينْ ،
بكلِّ ما فيه ، بكل الذي
كُوِّن من ماءٍ ونارٍ وطينْ ،
بأمَّتي . . . يولدُ في صدرها
تلفُّتُ الدنيا وحلْمُ السّنينْ .

ما في دمي غير ارْتياداتِها
مفتوحةً كالأرض ، مبسوطةً
على الغد الآتي ، على العالمين ،
ما في شراييني غيرُ اليقينْ .

مستقبل الحرية

غداً ، عندما بلادي تغنيّ :
« أنا الحبّ يُؤثَر عنّي
بوجهي محوتُ السّوادا
وصرت لكلّ بلادٍ بلادا ـ
فلم يبق في أرضنا ظلامٌ ولم يبق شرٌّ » ، ـ
فقل أنا حُرٌّ ، وقل أنتَ حُرٌّ .

الجدجد

. . . ويقـولون إنني لستُ كـالغَيْـر أعبُـدُ
ليس في جبهتي حصيـرٌ وركنٌ ومسجـدُ
ويقـولون : تـائِهٌ ويقـولـون : جُـدجـدُ
وتسـاءلتُ ـ هل تَبخّـر في وجهيَ الغَدُ ؟
وتــذكّـرت أنني كنتُ للشّمس أنشِـدُ ـ
أنا في الشمس تائِهٌ أنا لِلشـمس جُدجدُ .

مواعيد

للهيكل القاذفِ أُنْشودتي
في أبد المسير ، تَمْجيدي
كلّ طريقي سفَرٌ دائِمٌ
وفي المجاهيل مواعيدي .

الأشياء

فيما تنام الأشياء حولي ،
تَهمسُ لي بِاسْمها ، وفيما
تمنحني الحلمَ والأخوّه ،
ترسمُ لي أغنياتي
بلهيبِ النبوّه .

رجاء

يا شِعرُ هَبْهُ أن يغنّي مع اليأسِ
ويعتادَ على النهارْ ،
أطفأتِ البذورُ في أرضه
شموعَها ، واحترقت عشتارْ .

عند نجمين

كلَّ بُرهَةْ
يغسل المجهول وجهَهْ
بصلاتي
بينابيع حياتي .
عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي ،
يُخبىء العالم كُنْهَهْ .

صورة وصفية

كان في مثل طَلْعة الصبح ـ
عيناه اكتشافٌ ووجههُ تسبيحُ
خلجت مَرّةً يداه ، فمرّت
غيمةٌ وامّحت مع الغيم ريحُ .

حنين

فيّ حنينٌ هو غير الحنينْ
غير الذي يملأ صدر السنينْ ؟
تقتربُ الأشياءُ منه كأنْ
لا تعرف الأشياء إلّاهُ
تقول ـ ما شُيِّئتُ لولاهُ ؛

كأنّه أكبرُ من حالهِ
يعلو ويمتدّ ولا يرضى
يريد أن يخرج من نفسهِ
ويحضنَ السماءَ والأرضا .

دروب

أمسي غَدٌ والكونُ ترتيلةٌ
تذوبُ ، ـ في وجهي وحبّي تذوبْ ؛
يولد في عينيَّ معنى الضحى
تبدأ من نفسيَ كلّ الدروبْ

الكاهنة

في جبْهتي كاهِنة أشعلت
بخورها واسْترسلت تحلمُ
كأنما جفونها منجمُ .
كاهنةَ الأجيال ، قولي لنا
شيئاً عن الله الذي يُولدُ
قُولي ـ أفي عينيه ما يُعبَدُ ؟

اعيش مع الضوء

أعيش مع الضوء عُمْري عبيرٌ
يمرّ ، وثانيتي سنواتُ
وأعشق ترتيلةً في بلادي
تَناقَلها كالصباح الرعاةُ ؛
رموها على الشمس قطعةَ فجرٍ نقيٍّ
وصلّوا عليها وماتوا ـ
إذا ضحك الموت في شفتيكَ
بكت ، من حنينٍ اليكَ ، الحياةُ .

فهرست القصائد

من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد)، الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

716

دار الآداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

تصميم الغلاف ناصر عاصي
لوحة الغلاف للفنان حمودة عبد الرزاق